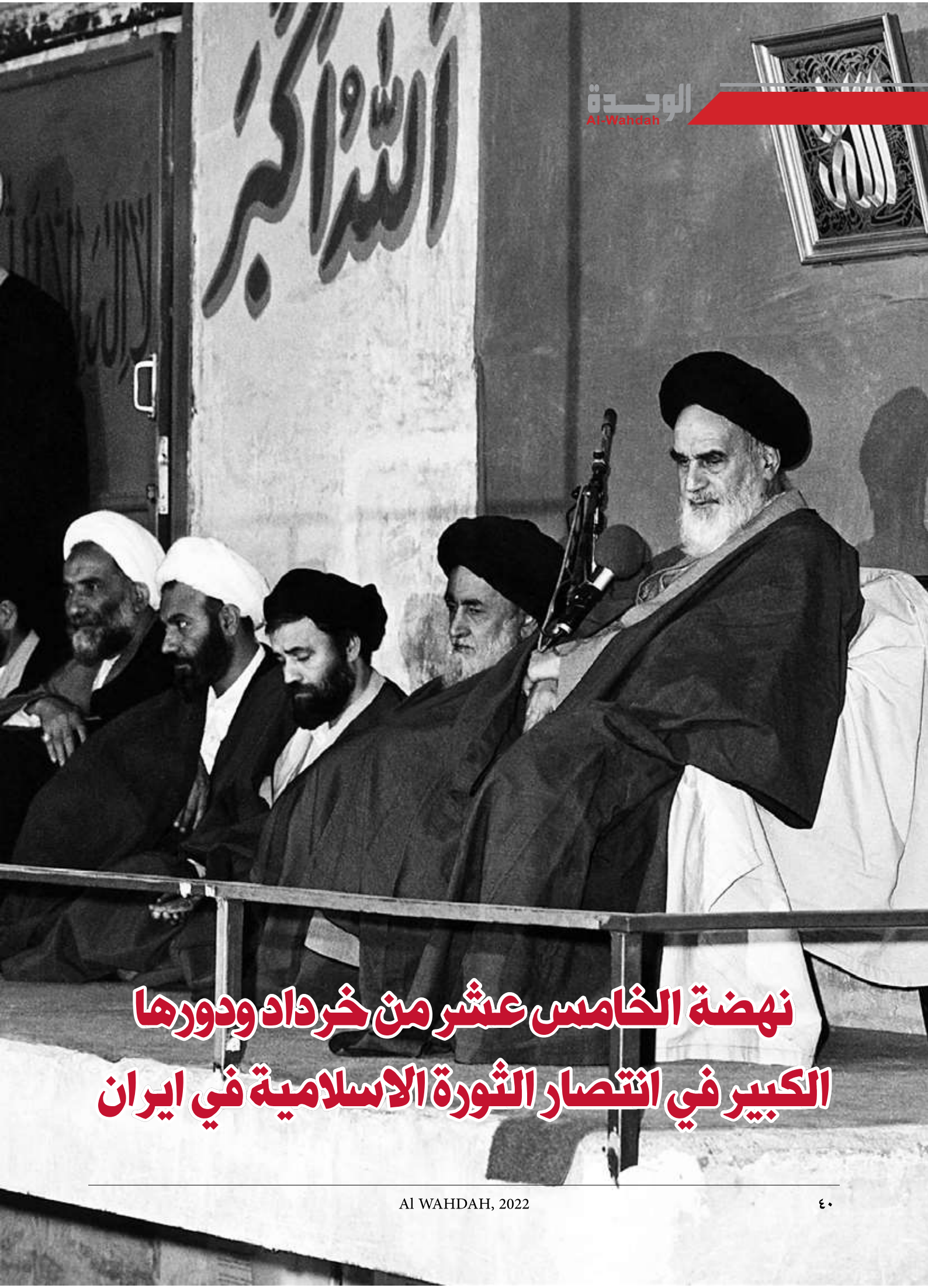

نهضة الخامس عشر من خرداد ودورها الكبير في انتصار الثورة الاسلامية في ايران

يعتبرشهر كانون الثاني ١٩٦٣، منعطفا جوهريا في التاريخ الايراني الحديث اذ أعلن الشاه الايراني ما أسماه "الثورة البيضاء"، التي كانت تتكون من تعديلات كبيرة تشمل النواحي الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في ايران، والهدف المعلن منها هو النهوض بإيران في شتى المجالات. وقد طرحها للاستفتاء الشعبي، وحدد لها موعداً يصادف ٢٦ من الشهر نفسه، اذ كانت هذه التعديلات بطياتها تستهدف القطاع الزراعي الاهم في ايران اضافة الى قانون الاحوال الشخصية وتقليص دور الدين في الحياة العامة.

رفض الامام الخميني (قدس) كل هذه التعديلات والاستفتاء عليها نظرا لخطورتها على المجتمع الاسلامي في ايران بالصعيدين المعيشي والديني، اذ اعتبرها تهديدا مباشرا للمفاهيم والاعراف التي نشأ عليها المواطن الايراني.، كان لرفض السيد الامام صفعة للشاه بهلوي واجهزة الاستخبارات الغربية فلم يكن هذا متوقعا .

وانطلقت الانتفاضة في بنيتها ومنطلقاتها الفكرية والعقائدية بداية مواجهة النهضة الاسلامية كحاكمية وموجه لحكم الدكتاتورية والاستبداد البهلوي والتي وفرت الارضية المناسبة لبلورة المبادئ الفكرية والسياسية للثورة الاسلامية في ايران ولاحقا لدى اغلب شعوب المنطقة، كما اسست الوعي بذهن المواطن في القدرة على التمييز بين مسار الامور.

لقد انطلقت نهضة الامام الخميني (قدس) في العام ١٩٦٢ وانتصرت الثورة الاسلامية في العام ١٩٧٩ ولاشك ان انتفاضة '١٥ خرداد' في العام ١٩٦٣ لعبت دورا بارزا ولا ينكر في انتصار هذه الثورة، علما ان النظام البهلوي انذاك كان يحسب له الف حساب على مستوى كل المنطقة من قوته العسكرية والامنية وعلاقاته الوطيدة مع اجهزة الاستحبارات الاميركية.

وكانت قوات امن النظام البائد (السافاك) قد حذرت علماء الدين وخطباء المنابر من التحدث في ثلاثة قضايا وهي التعرض بسوء لشخص الشاه محمد رضا بهلوي والتحدث بشكل عدائي عن الكيان الصهيوني والقول بمقولة الاسلام في خطر، هذه القضايا الثلاث تعتبر في فكر السيد الامام المحور الرئيس والخصم الاساسي في حركة الاسلام الثوري، فالامام الراحل الذي شكلت رؤيته الثاقبة و صلابته وعزمه الراسخ في مقارعة الاستبداد الحاكم، اطلق في ٣ حزيران / يونيو عام ١٩٦٣ والذي صادف يوم العاشر من محرم خطابا شديد اللهجة ضد النظام البلوي العميل للاستكبار الاميركي.

واعتبر السيد الامام ان جميع المشاكل توجد في هذه القضايا، ولو لم تكن هذه القضايا الثلاث لما كان هنالك خلاف، اذ كان نظام الشاه عنوان للفساد والعمالة الكاملة للولايات المتحدة الاميركية، وتشكيل الكيان الصهيوني الخطر الكبير، هذا الكلام كان جوهر السيد الامام والذي هاجم فيه الشاه ونظامه وجهاز امنه، كان في الحقيقة بداية العد العكسي لسقوط ذلك النظام.

انتشرخطاب السيد الامام في العاصمة طهران كالنار في الهشيم، والذي اتى بعد مجزرة المدرسة الفيضية والاعتداء فيها على العلماء وطلبة العلوم الدينية ، وفي الساعة الرابعة من فجر يوم ٥ حزيران توجهت من طهران الى قم عربات عسكرية تحمل جنودا وعناصر امنية لالقاء القبض على الامام، وقامت باحتجازه في معتقل الضباط بطهران ومن ثم نقله مساء اليوم نفسه الى سجن 'قصر'.

خبر اعتقال الامام الخميني بين المواطنين، ادى الى اندلاع انتفاضة شعبية واسعة ضد نظام الشاه بهلوي في ٥ حزيران، فتوجهت جموع الجماهير، الى منزل السيد الامام تحت شعار 'اما الموت واما الخميني' الذي كان يسمع في كل ارجاء مدينة قم.

قوات النظام وبدعم كبير انتشرت في المدينة لارعاب المواطنين وقمع الانتفاضة الشعبية بشدة، ومن جانب اخر انتشر خبر اعتقال الامام في غالب المدن ومنها شيراز ومشهد، حيث خرجت الجماهير وهي تطلق الشعارات المؤيدة للامام والمطالبة بالافراج عنه، الجماهير تحركت من مدينة ورامين جنوب طهران نحو العاصمة الا ان القوات الامنية تصدت لهم واطلقت النار عليهم مما ادى الي استشهاد الكثير منهم ومن المتظاهرين في سائر الاماكن. كما تحركت جموع غفيرة من الجماهير في طهران نحو قصر الشاه.

فرض نظام الشاه حالة الاحكام العرفية في مدينتي طهران وقم ، ومع ذلك فقد زاد عدد التظاهرات الواسعة في الايام التالية التي كانت تنتهي بمواجهات عنيفة بين المتظاهرين وقوات النظام وتقمع بسقوط الكثير من الشهداء.

وبعد ١٩ يوما من اعتقاله في سجن 'قصر' نقل الامام الخميني (قدس) الى معسكر 'عشرت اباد' بطهران، ومن ثم اطلق النظام سراح الامام بعد شهر ونصف من ذلك، واتخذ الشاه محمد رضا بهلوي قرار بنفي السيد الامام الى تركيا لم يلبث فيها طويلا حيث انتقل الى النجف الاشرف في العراق.

ومن هنا تعتبر هذه الانتفاضة منطلق مسار الثورة الاسلامية للشعب الايراني والتي اسست لخطوطها وشكلها وعمقها التاريخي العقائدي مما سلكت وبشكل سريع تحولا في نظرة الشعب للحاكم وللنظام ولدور المواطن ووجوده، اذ يمكننا ان نرى التغير الذي طرأ على محور الاحداث التي جرت في ايران انذك فنشاهد انتقال قيادة مناهضة النظام البهلوي من اليساريين والليبراليين الى النخب المتدينة والذي اعتبر بعضهم من نجوم الفلسفة الثورية للاسلام كالشهيد مطهري (رض) والشهيد محمد حسين بهشتي (رض) والسيد القائد علي الخامنئي الذي نجا من محاولة اغتيال ايضا.

وضوح الواقع السياسي امام الشعب حيث كشفت الجرائم الفاضحة على ايدي قوات النظام وعناصر الاستخبارات الغربية عن الصورة الحقيقية للشاه العميل للولايات المتحدة الاميركية ، وانتقل الشعب من شعارات اصلاح النظام الى المطالبة بإسقاطه، واهم ما ادت اليه هذه الانتفاضة مطالبة الجماهير في طرد جميع القوى الأجنبية من إيران.

مسار الثورة الاسلامية في ايران اعتمدت الاسلوب السلمي كتنظيم المظاهرات الاحتجاجية الحاشدة، ودعوات العصيان المدني الواسع، والإضرابات المدنية العامة التي شملت أحيانا مؤسسات رسمية كبرى في قطاعات حساسة مثل الطاقة والنقل، مما ألحق أضرارا كبيرة باقتصاد النظام، كما انطافت في انتفاضة الخامس عشر من خرداد وكما ارادها السيد الامام لكن وخلافا مع رؤية السيد الامام كانت بعض الحركات اليسارية تصر على التعاطي مع أجهزة أمن الشاه وجيشه بطريقة عنفية .

اذ كان الامام الخميني (قدس) يقول للشعب: "لا تهاجموا الجيش في صدره وإنما هاجموا قلبه واستهدفوا وجدانه. عليكم أن تناشدوا قلوبهم ولو فتحوا عليكم النار. وإذا أراد الجيش أن يطلق النار عليكم فلتعروا صدوركم ، فدماء كل شهيد ناقوس يوقظ ألفا من الأحياء. فلندعهم يقتلون خمسة آلاف، عشرة آلاف، فسنبرهن للعالم أن الدم أكثر قوة من السيف". وكان يسمي أفراد الجيش "جنود الله المستضعفين".

وقد اتخذت قوى الثورة تدابير لحماية من ينشقون عن النظام من عناصر أمنه وجنود جيشه بتهريبهم من ثكناتهم وتشكيلاتهم العسكرية، وتوفير ملابس مدنية لهم تمكنهم من الاختفاء، وتأمينهم في أماكن سرية. مع الاستفادة مما لديهم من معلومات تفيد في إضعاف النظام.

ظلت الاحداث تتلاحق وفق رؤية السيد الامام حتى اواخر العام ١٩٧٨، عندما احس الشاه ومن خلفه الولايات المتحدة الاميركية بالعجز في مواجهة الشعب في وقوفه خلف امامه، اعلن الشاه استعداده لتسليم منصب رئاسة الوزراء للمعارضة، قابله السيد الامام برفض العرض والدعوة الى مواصلة المظاهرات في أنحاء البلاد، وبعد ذلك غادر الشاه محمد رضا بهلوي ايران إلى الخارج بذريعة طلب العلاج، بعد أن عين شابور بختيار أحد قادة الجبهة الوطنية رئيسا جديدا للوزراء، والذي كان بدوره يؤدي دورا اميركيا مؤقتا لعودة الشاه، وفي شباط ١٩٧٩: عاد الامام روح الله الموسوي الخميني (قدس) من منفاه في فرنسا إلى العاصمة طهران، وكان في استقباله أكبر حشد جماهيري في تاريخ البلاد، قدرته مصادر صحفية عربية واجنبية بالملايين.

وفي الشهر نفسه اعلن السيد الامام مهدي بازركان رئيسا لحكومة الثورة المؤقتة مع إصرار بختيار على عدم الاستقالة، والذي عطل التسليم احد عشر يوما، وبات الواقع يتحول تدريجيا الى حيث اراد السيد الامام وشعبه اذ اعلن رئيس أركان القوات المسلحة بحياد الجيش في صراع النظام والثوار، وهو ما اعتبِر إعلانا رسميا لنجاح الثورة وسقوط نظام الشاه، وفي الاول من نيسان تم إجراء استفتاء شعبي على تأسيس الجمهورية، والسيد الامام يعلن تأييد الشعب الايراني لقيام الجمهورية الإسلامية في ايران.

ان حركة الخامس عشر من خرداد كانت موقف تحول الى انتفاضة فكانت الثورة خلف رجل خالف كل التوقعات ومراكز البحث واجهزة الرصد والاستطلاع، اذ قال في هذه الانتفاضة السيد الامام نفسه بعد انتصار الثورة "إن إنتفاضة الخامس عشر من خرداد المصدر والانطلاق ونقطة البداية للثورة الاسلامية" ، فثورة خرداد انطلقت من معلم الدين الاسلامي ومن اعلام الفكر الاسلامي ومن عمق عقائدي اسلامي ليحصد فيها الشعب المسلم في ايران حصاد الجمهورية الاسلامية في ايران.